نضيف هنا بعض الملحوظات التي من شأنها ان تحفظ لهذه المياه خواصها الصحيَّة وتزيد ثقة الجمهور بها فنقول:

انَّ الاوروبيين اذا وجدوا في بلادهم عيناً كهذه لسرعوا فاعتنوا بضبط ممرّها كما ترى في مياه فالوغا نفسها التي اتَّخذ الرومان لها القني والقساطل والاحواض فينبغي اذن على صاحبها ان يشيد لها بنياناً يصونها من كلّ ما يختلط بها من الاجسام الغريبة. ثم يجب ان تُتَّخذ لها احواض محكمة العمل تنظَّف من وقت الى آخر من كلّ الرسوبات ويُبعَد عنها الغبار والاوساخ وتُنقل بحيث لم تمسّها الايدي الَّا بالنظافة التامة ثم تُملا منها الآنية والقناني وتُجعل لها حمامات حسنة بحيث لا ينفذ اليها الهواء ولا تدخلها الجراثيم الآليَّة وغيرها وتُجعل لهذه الآنية علامات لئلَّا يتقلَّدها اصحاب المطامع

فيا حبذا لو كانت حكومة بلادنا تسهل لصاحب مياه عين الصحة طرائق استعمالها وترويج منافعها او تُعقد لذلك شركة قانونيَّة تستفيد من هذه المياه وتفيد بها ابناء الوطن والغرباء فيزيد الاقبال على الاصطياف في لبنان وتقلّ المهاجرة منهُ الى البلاد البعيدة وهم يجدون في جبلهم من اسباب الصحة والارباح ما يطلبونهُ في الاقطار النازحة ولعلَّهم لا يصيبونهُ او ينالونهُ بعد شقّ النفس وتضحية صحة الجسم وشرف النفس

الانجيل الشريف

بحث نثري تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي (تتمة)

٢ موافقة اكتبة اليهود والوثنيين لشهادة الانجيليين

لسنا لنلتجئ الى شهادة الدّ اعداء النصرانيَّة لنتخذ كلامهم مصداقاً لحقيقة ديننا وهم الساعون جهدهم في الحطّ من قدره والفتك بتبعته. لكن الحقيقة كثيراً ما تاتي اشدَّ المبغضين الى الاقرار بالصدق بالرغم عنهم. فهؤلاء اليهود اذ رأوا عجائب المخلّص واعمالهُ لم ينكروها لكن الحسد والبغض والسياسة ورغبة الانتقام اعمت عيونهم ورنت على قلوبهم «فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون المجلس وقالوا:

ماذا نصنع فان هـذا الرجل يصنع آيات كثيرة وان تركناه هكذا آمن بهِ الجميع فيأتي الرومانيون ويستحوذون على ارضنا وامتنا. فقال لهم واحد منهم اسمهُ قيافا وكان رئيس الكهنة في تلك السنة: انكم لا تعرفون شيئاً ولا تعتبرون أنهُ خير لكم ان يموت رجل واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » (يوحنا ١١: ٤٧)

وفي مجموعة التقاليـد اليهوديَّة وشروح شريعتهم المسماة « التلموذ » قد اقرُّوا مصدقين بعجائب المسيح والرسل لكنهم نسبوها تارةً الى قدرة الشيطان او السحر وتارة الى استعمال المسيح لاسم ذي الجلالـة « يهوه » الى غير ذلك من الظروف والتفاصيل التي ارادوا ان يشوهوا بها ترجمة يسوع الناصري فجاء قولهم دليلًا صادعاً على صحة الاناجيل. ولذلك ترى ترتليانوس يهتف بهم قائلًا: انكم ايها اليهود لا تنكرون ان المسيح عمل هذه المعجزات (الفصل ٩ من ردّهِ على اليهود)

ولنا في المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس شاهـد ممتاز بمعارفهِ وشهرتهِ. وُلد سنة ٣٧ للميلاد ومات سنة ٩٥ بعد ان تقلب في الوظائف والَّف كتابيه الجليلين في « العاديات اليهودية ». وفي « الحرب اليهودية » وقد جاءت تفاصيـل اخبارهِ مصداقاً لما نعرفهُ من الاناجيل وسائر اسفـار العهد الجديد فمن ذلك انهُ اثنى على قداسة يوحنَّا المعمدان وموته (عاديات ١٨: ٥: ٢) وذكر استشهـاد يعقوب نسيب السيد المسيح المعروف باخي الرب (٢٠: ٩: ١) ولمَّا روى عصيـان اليهود على بيلاطوس البنطي ادَّى في المسيح شهادة اثيلة هـذا تعريبها بالحرف عن الاصل (١٨: ٣: ٣):

« وكان في هذا الوقت (اي زمن هيرودس انتيباس) انسانٌ حكيم – لو صحَّ ان نلقبهُ انساناً – اسمهُ يسوع. وكان يصنع المعجزات الباهرة العديدة ويعلّم النـاس الراغبين في الحقيقة وقد اجتذب اليهِ عدداً عديداً من اليهود ومن الامم ايضاً. هذا كان المسيح. وقد سعى بهِ زعماء طائفتنا الى بيلاطوس فاماته على الصليب. لكن الذين تبعوهُ اولًا لم يكفُّوا عن حبّهِ. وقد ظهر لهم حيًّا في اليوم الثالث لموته كما سبق الانبياء الالهيون فتنبَّأوا بذلك وبامور اخرى عديدة في شأنهِ. ونسبةً اليهِ سُميت طائفة المسيحيين التي لا تزال الى هذا اليوم »

هذه شهادة يوسيفوس وقد اثبت النقدُ العلمي نصهـا بالحرف مدوَّناً في كل المخطوطات اليونانية ونقلهـا اوسابيوس المؤرخ المدقق في الربع الاوَّل من القرن

الرابع في كتابهِ المعنون باسم « اثبات الانجيل » (قسم ٣ فصل ٥) (١

على ان الكثيرين من المنتقدين يستغربون بعض كلمات وردت في الشهادة الآنف ذكرها كاقرار المؤلف اليهودي بحقيقة كون يسوع هو المسيح وبصفاته الالهية ويرون ان هذه الفاظ مدخولة . فهبْ اننا سلمنا بدّعاهم مع وجودها في اقدم النسخ المخطوطة تحاشياً من البحث الطويل فاننا نجد مع ذلك للكاتب اقراراً واضحاً بعجائب يسوع . وهذا ما تحرّينا اثباته عن مصادقة اليهود لشهادة الانجيليين

ولم يضرب الكتبة الوثنيون صفحاً عن اخبار المسيح والمسيحيين . فهذا تاكيتوس (Tacite) المؤرخ الروماني الشهير والمعاصر للرسل ولتلاميذهم يذكر اضطهاد نيرون العاتي للمسيحيين (سنة ٦٤ للميلاد) وتمثيله فيهم . قال المؤرخ (٢ : « وقد دُعوا مسيحيين نسبةً الى المسيح الذي حكم عليهِ بيلاطوس البنطي بالموت في زمن طيباريوس . ورغماً عن المضايقة التي ضيّق بها على هذه الشيعة فقد انتشرت انتشاراً غريباً لا في اليهودية فقط حيث نشأت لكن حتى في رومية فجعل الحكّام يعاقبون من يقرّ بانهُ مسيحي وباشارة هؤلاء حُكم على جمهور عديد (multitudo ingens) لا لأنهم أحرقوا رومية لكن لانهم يبغضون الجنس البشري (odio generis humani-Annal. XV, 38. 44) . المراد بهذا البغض زهد النصارى باللذّات الحسية وانفتهم من الكفر والخلاعة التي ألفها الرومانيون (رسالة بولس الى الرومانيين فصل ١)

ويُعيد هذا التاريخ في اواخر القرن الاول للميلاد بعث حاكم بيثينية بلينيوس (Pline : Epist. XCVII) برسالة الى القيصر طرايانوس يطلعهُ على انتشار الدين النصراني قال : « لا تجد مدينة ولا قصبة ولا قرية حقيرة لم يدخلها هذا المذهب حتى ان هياكل آلهتنا قد اضحت قفراً لا تُقدَّم عليها الذبائح . . . وقد القيتُ القبض على بعض الخادمات المدعوات شمّاسات وعذبتهنَّ فلم اجد فيهن سوى مُغالاة في العبادة . وهؤلاء المسيحيون يجتمعون في يوم خاصّ قبل الفجر ويرتّلون التسابيح للمسيح

---

١) اطلب مجموع آباء اليونان (Migne, PP. GG. XXII, 222)

٢) اطلب تاريخهُ (ك ١٥ العدد ٣٨ و ٤٤)

المهم ويتعاهدون لا على الجرائم لكن على ان لا يسرقوا ولا يختلسوا ولا يزنوا ولا يخونوا ...»

ونضرب صفحاً عن غير ذلك من شهادات الاعصر التالية التي شهد بها المؤرخون الوثنيون لصدق الاناجيل من ذكرهم للظروف التاريخية او اقرارهم بعجائب المسيح وسعيهم في تفسيرها بقوة السحر او بعرضها على ما يزعمونهُ من قوى الطبيعة واسرارها. فانك تراهم غير ناكرين لحقيقة الحوادث لكنهم يجهدون في شرحها شرحاً يقربها من قوى الطبيعة كما عاد ففعل معاصرونا الاباحيُّون كما سترى

٨ تحقيق شهادة الانجيليين بتنصُّر اليهود والوثنيين

امر المسيح رسلهُ ان يذهبوا ويبشروا بما سمعوا ورأوا ويشهدوا لعجائبهِ وموتهِ وقيامتهِ ويتلمذوا لهُ الامم والشعوب وألّا يهابوا اضطهاداً ولا عذاباً ولا موتاً في اداء الشهادة. فقاموا باعباء هذه المهمَّة احسن قيام ونشروا هذه التعاليم وشهدوا شهادة حقّ وماتوا اثباتاً لهذه الشهادة. ذلك كلُّهُ نعرفهُ من تاريخ السنين الاولى للدين النصراني نقلاً عن الآثار الباقية التي لا ينكر عاقل خطرها وصدقها

هؤلاء اليهود الملتئمون في اورشليم لا من الفلسطينيين والجليليين فقط لكن ايضاً «من الفرتيين والماديين والعيلاميين وسكّان ما بين النهرين واليهوديَّة وكبادوكية وبنطس وآسية وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية عند القيروان والغرباء من رومية والكريتيين والعرب» (اعمال ٢: ٩) وعددهم يربو على الثمانية الآف دخلوا في هذا الدين بعد سماعهم لشهادة بطرس ورفقتهِ. هؤلاء الوثنيون من يونان ورومان وسائر الامم المنتشرة في انحاء المعمور تركوا الشرك وحطَّموا الاصنام وضحّوا كل عزيز واحتملوا كل المشقَّات ودخلوا زرافات في الدين النصرانيّ مزدرين بما اعدَّه لهم المقتصون من انواع العذاب والتمثيل والموت الاحمر جزاء ايمانهم بالمسيح. وكانوا يُحصَدون بالالوف حتى اضحت هياكل الاوثان بلقعاً خاوياً من العبَّاد والذبائح بينما كانت السجون تضيق على سعتها بالشهداء

فكيف دخلوا في هذا الدين؟ من اين لهم هذا الايمان بالمسيح؟ هل هجر الاسرائيلي دين آبائهِ وعبد يسوع الناصري ولم يطلب بيّنةً ولا حجَّة تثبت انَّ يسوع هو المسيح الرب الموعود؟ هل كفر الوثني باميالهِ وسجد للمصلوب وخسر مالهُ

وعرّض اهلهُ وحياتهُ للمهالك عن جهل اعمى ولم يتحقّق حقيقة الدين الجديد الذي نشرهُ قوم غرباء سذّج ؟ هل ألجئوا الى ان يعتنقوا الدين النصراني كرهاً او تملّصاً من مكروه كما لو اضطرّوا ان يدفعوا الجزية صاغرين فرأوا في تنصّرهم وسيطة للنجاة من الذل والموت ؟ هل تركوا ديناً شاقاً عسراً ليعتنقوا ديناً سهلاً يسراً ؟ هل طلبوا في ذلك الرغائب العالمية او اللذات الجسدية او المجد والثروة والحياة الهنيئة ؟

لا لعمري فقد كان ايمانهم سبباً لذلّهم وعذابهم وموتهم . فإن آمنوا وماتوا حبّاً بايمانهم فذلك نتيجة ما رأوا وسمعوا وتثبّتوا من البراهين الصادعة بحقيقة هذا الدين من تعليم المسيح وخوارقهِ وقيامتهِ . وليست هذه التعاليم وهذه الخوارق الّا ملخّص الاناجيل .

ولنا في اخبار حياتهم وتقارير استشهادهم الرسمية وما حفظتهُ لنا الديامس والمعابد من الآثار شهادة لمعتقدهم ونخب من اقوال المسيح وعجائبهِ وقيامتهِ كما عرفوها وآمنوا بها وماتوا دفاعاً عن حقيقتها

(الخلاصة) هذه ثمانية براهين لا ينكر علينا عالم او ناقد او فقيه خطرها وصحتها تثبت صدق الانجيليين في شهادتهم للمسيح وهي حجج مرتبطة سلسلتُها ارتباطاً محكماً . فاذا تبصّر العاقل في مجموعها اقرّ معنا ان الانجيليين لم يخدعونا فهم منزّهون عن الكذب والتمويه والتزوير

وقد اقرّ لهم بذلك المنتقدون حتى الجاحدون في ايامنا وزكّوهم من كل خداع لكنهم لمّا كانوا لا يرضون بما يفوق الطبيعة فقد عمدوا الى آخر ملجأ وجدوهُ فقالوا: ان الرسل لم يخدعونا عمداً لكن ضلّوا فاضلّونا جهلاً

القسم الثاني

لم يُغشّ الرسل ولم يُخدَعوا

هذا الملجأ الاخير الذي لجأ اليهِ المعطلون والملحدون في عصرنا بعد ان اضطرّهم البحث والتحرّي الى الاقرار ببراءة الرسل من الخداع والغش . لمّا كانوا قد صمّموا القصد المتين على نكران الدين والوحي وكل ما يفوق قوى الطبيعة لم يبقَ لهم سوى هذا الاعتراض عذراً وتعللاً . قالوا: لم يغشّنا الرسل عمداً لكن جهلاً فقد خُدعوا هم

الاولون ولم يفهموا اسرار ما شاهدوا فنسبوا الى قدرة الهية ما كان الاحرى نسبتهُ الى المعارف والقوى الطبيعيَّة واعتبروا اعجوبة فائقة الطبيعة ما كان بالحقيقة امرًا بسيطاً

ومن ثمَّ ترى ان انكار هؤلاء الملحدين للحقيقة مصدرهُ ضلال فلسفي وعناد لا نقد علمي ولا بحث تاريخي كما سبق لنا التنبيه الى ذلك. ولكن دعنا نسمع في اثرهم ونبارزهم في معتصمهم هذا غير وهَّابين لان الحقّ يعلو ولا يُعلى عليهِ ؟

فمن ذا الذي اغوى الرسل واضلَّهم ؟ اخدعهم سيِّدهم او خدعوا انفسهم

١ (لم يخدع المسيحُ رسلهُ) قالوا مع الالماني سملر (Semler) (١٧٢١ — ١٧٩١) ان معلِّمهم قد اضلَّهم واضلَّ المعاصرين لما رأى من سذاجتهم وتعلُّقهم بشخصهِ وسرعة تصديقهم للخوارق. ولمَّا كانوا ينتظرون مسيحاً قديرًا بالعمل والكلام فنَّالًا للمعجزات لم يأنف يسوع من ان يجاريهم على رغائبهم وآرائهم فادَّعى انهُ المسيح المنتظر فاعتبروا كلّ عمل منهُ كاعجوبة حيث لم تكن اعجوبة

(جوابنا) ١ ان نسبة الخداع الى يسوع المسيح لكلامٌ تنفر منهُ النفوس الابيَّة ولا يجرأ عليهِ الَّا من ختم الحمق والكفر على باصرتهِ وقلبهِ فاصبح لا يميِّز بين النور والظلام. فأين النفاق واين الغشّ من طباع ذاك المعلم السامي الذي لم يستطع الدُّ اعدائهِ ان يسموهُ باثم او نقيصةٍ ؟ فقد صنع كلّ خير وصلاح ومرّ في ظهرانيهم يبذر المعروف بالتعليم والتعزية وشفاء المرضى ورفع القلوب الى كل ما هو شريف وطاهر ومقدَّس. اين الخداع واين الغشّ من ذاك الذي اطرأهُ جمهور الملحدين والمعطِّلين انفسهم فقالوا فيهِ كلّ المدح والتمجيد وصرَّحوا بانهُ اشرف واطهر واقدس واسمى بشر. فجاء اطراؤهم نقصاً في اعيننا وضلالًا لانهم رأوا فيهِ بشرًا محضاً وهو اله معبود فلا نرضى لاسمهِ الَّا السجود وكل تكبير لهُ وتعظيم ما خلا السجود نعتبرهُ بخساً في حقهِ وجحوداً. أيُعزى الكفر — وما الخداع في المسائل الدينيَّة الَّا كفرٌ بيِّن — أيُعزى الكفر لذاك الذي لولاه لكان العالم لا يزال في عهد الهمجيَّة ومهد الحضارة يتكعكع في ظلمات الوثنيَّة او الضلال المطبق. لا لعمري. عارٌ وشين ان يُنسب الخداع الى يسوع المسيح ولو كان المعترض ممَّن عميت بصيرتهُ وطبعت على صفحات قلبهِ سمات التجديف والحماقة

٢ ثم يجب على المعترض ان يشرح لنا ما الذي حدا بالرسل والتلاميذ والشعب

الى التعلق بهذا المخادع. فقد كفروا بحبهِ وضحّوا في سبيلهِ كل عزيز فهجروا المال والاهل والوطن والراحة وعرضوا ارواحهم لضروب البلايا والمحن شهادةً لهُ وحبًّا بهِ. ولا ينكر علينا المعترضون هذا وقد اتخذوهُ حجّة لمدعاهم ووسيطة لاثبات انخداع التلاميذ والشعب. بل قل لي وعاك الله ما الذي حبّب هذا المخادع الى قلوب الربوات وربوات الربوات من الفتية والفتيات والشبّان والكهول والرجال والنساء والعلماء والبسطاء والاغنياء والفقراء والملوك والعبيد فاجلُوهُ وعبدوهُ وسجدوا لهُ وكفروا باميالهم النفسيّة وقدموا نفوسهم ضحايا ادبيّة بالعيشة المقدّسة او ضحايا دمويّة بحد السيف. أَنُخدع البشر ولم ينج من الخداع الّا سَنَلر وريتان وافراد ممّن انكروا الخالق وتألهوا فعبدوا صلفهم او مالهم او جسدهم

٣ قال لاسمهِ المجود: ليس خفيٌّ الّا سيظهر ولا مكتوم الّا سيُعلن ويُشهر. فلا بدَّ ان تُكشف يوماً اسرار الصدور فتنجلي الحقائق وتبدو خفايا الخداع. هب ان المسيح تظاهر بشفاء مريض او اعمى او مخلّع او باقامة ميت ولم يكن ذلك الّا تمويهاً ونفاقاً فأوقع تلميذًا في شركهِ مخدوعاً مغشوشاً لكن لمّا كان الامر حسيًّا يمكن استثباتهُ بالعين والاذن واليد وسائر الحواسّ وكان علنيًّا على رؤوس الملإ لا في الخفية اضحى لا بدَّ من ان تنكشف يوماً الرغوة عن الصريح فتُعرف الحقيقة. فلا يخفى سرٌّ تجاوز لا الاثنين فقط لكن المئات والالوف. أيُعقل ان الالوف من الذين تظاهر السيد المسيح بشفائهم تواطئوا معهُ على الخداع؟ أيُعقل ان الاثني عشر رسولًا والسبعين تلميذًا والعدد العديد من الحضور كانوا ضحيّة الخداع الدائم لا دقيقةً او ساعة لكن ساعاتٍ وأياماً واشهرًا وسنين فرأوا العميان يبصرون وهم لم يبصروا حقيقةً والعرج يمشون وهم لم يمشوا والبرص يطهرون وهم لم يطهروا والصم يسمعون وهم لم يسمعوا والموتى يقومون وهم لم يقوموا (متى ١١: ٥ ولوقا ٧: ٢٢) هذا لعمري اعجوبة اغرب من كل ما نقلهُ لنا الانجيل الطاهر عن عجائب المسيح

٢ (لم يخدع الرسل انفسهم) سُدَّ في وجه الملحدين الباب فلم يقرّوا بكبرتهم لكنهم اعادوا الكرّة فقالوا: «ان يسوع لأسمى من ان يُنسب اليه الخداع فلم يخدع الرسل لكنهم هم خدعوا انفسهم فكتبوا ما كتبوا صادقين وهو عين الحقيقة خلا المعجزات والخوارق التي ارادوا بها اثبات صفاتهِ الفائقة

الطبيعة وقدرته ولاهوته». قالوا مع ايشبورن (Eichborn) وبولوس (Paulus) ورينان وغيرهم ان الشرقي من طبعه المغالاة في وصف ما تُصوّرهُ لهُ مخيلتُهُ الوقّادة ومياؤُهُ النقيَّة وشمسهُ الحارَّة فهو شاعر اكثر منهُ مؤرخ واذا تحرّكت فيهِ عاطفة الشعور عظَّم في رأسهِ الامور البسيطة وبالغ في وصفها وزاد عليها عن صدق سريرة وحدَّة تصوُّر وهو لا يرى في ذلك كذباً ولا ضرّاً. وعليهِ فالعجائب المدَّعاة حقيقيَّة لكنها حوادث طبيعيَّة بالغ الناقلون في نقلها والاشفية حقيقية ايضاً لكنها لا تتجاوز قوى الطبيعة

(نجيب): ١ً لقد حقَّ للمحدثين الشرقيين بلا داعٍ موجب. فهب ان الشرقيَّ ذو مخيلة وقّادة وشعور ملتهب أيُحرم لذلك صفات المعرفة والادراك فلا يميّز بين الحقيقة والخيال وبين التاريخ ومنازع الشعر المختلق. لقد اذلّنا المطلون اكثر مما نستحق

٢ً ثمَّ اين لواعج الشعور ودلائل المخيلة في الاسفار الانجيليَّة؟ اين الوصف الشعري والمغالاة المحرّكة للعواطف؟ فينا نرى قوماً من النحويين واللغويين يستخفُّون بكتبنا لخلوّها من ضروب البيان والبديع التي عهدوها في القصائد والمسجعات اليونانيَّة واللاتينيَّة والعربيَّة — وقد اخبر القديس اغسطينوس استعفارهُ لانشاء الكتاب المقدَّس ايام كان يدرّس البيان قبل ان يستضيء بنور الايمان ويطهَّر بماء المعموديَّة — بينا نرى المتفطرسين بعلومهم والمتذين بشتقة الالفاظ وتنسيقها ينفرون من بساطة الاسفار الالهيَّة نرى هؤلاء المعترضين يعزون الى كتبتها نظم القريض واختلاق المعاني. كاني بالمعترض لم يطالع النصوص الانجيليَّة حتى ولا فصلاً واحداً منها. فاذا كنتَ لا ترى في الانجيليين ونسقهم وانشائهم البسيط دلائل التاريخ الصادق العاري عن كل زخرفة وتصنُّع فقلْ لي بحقك اين التاريخ وكيف يكون. امَّا انا فاني اجد كتبةً آلوا على نفوسهم ان يكونوا شهودًا عدلاً لما رأوا وسمعوا بلا زيادة ولا نقصان فيذكرون اسمى التعاليم واعظم الحوادث بابسط الكلام وابعدهِ عن التكلُّف والتنسيق ولا يكشفون لنا عمَّا خالط فؤادهم من العواطف لمرأها ومسمعها. لعمري ليست هذه صفات الشعراء والخياليين لكن سيماء الناقل الصادق والشاهد المحق

٣ً من المحال ان تفصلَ بين سيرة المسيح الطبيعيَّة وبين معجزاتهِ الفائقة الطبيعة فترضى بالاولى مستنداً الى التاريخ وتنكر الثانية مستنداً الى التاريخ عينهِ. فانها كلها جوهرة واحدة لا تُقسم ولا تُجزَّأ. فاما ان تقبلها كما هي مقتنعاً بالحجج النقليَّة والنقديَّة التي قدمناها واما ان ترفضها بتاتاً معانداً للحقّ. لكنك لا تستطيع قبول قسم لانهُ يروق لك وانكار قسم آخر لانهُ يخالف آراءك. وذلك لانَّ المعجزات الفائقة الطبيعة تملأها من اوَّل صفحة الى آخر صفحة فاذا الغيتَ العجائب ابطلت ثلاثة ارباع النصّ الانجيلي واضحى الربع الاخير مسخاً لا يُعقل ولغزاً غامضاً لا يُحلّ. فانَّ يسوع الناصري قد ادَّعى النبوة والالوهيَّة وتحرَّى اثبات مدَّعاه بالخوارق والمعجزات فتتلمذ لهُ لرؤيتها عدد من معاصريهِ وآمن بهِ الكثيرون. فان ضربت صفحاً عن كل ما يفوق الطبيعة وحيتَهُ من انجيلك اذنبت لا الى التاريخ والنقد والعلم فقط لكن الى الادراك والتمييز ايضاً اذ وضعت معارلًا عجيباً بلا علَّة

٤ً وما هو بحقك هذا الدواء الشافي لسائر الامراض الذي ابتدعهُ يسوع وركب اجزاءهُ العجيبة فشفى بهِ العميان والصمّ والبرص والمخلَّعين وكل ذوي العاهات؟ لا شكَّ ان عصرنا الراقي في معارج العلوم قد عرفهُ او اكتشفهُ بعد تسعة عشر قرناً فخفَّف بهِ وطأة الاوجاع عن بني البشر. لا لعمري فالطبّ ترقَّى على ما يُقال لكن البشر لا يزالون يئنُّون تحت عبء الامراض وليس من يطفيء جمرتها ويسكِّن آلامها وليس لهم اذا ما تقلبوا على سرير الوجع تعزية الَّا في ايمانهم اذا كانوا مؤمنين

والآن دعنا نتصفَّح شروح المعارض لما ورد في الانجيل من المعجزات فنعرضها على محكّ النقد بوجيز الكلام لان المجلدات الضخمة لا تفي بالموضوع

نستطيع ان نقسم معجزات المسيح الى خمسة اقسام: ١ً قدرتهُ على طرد الشياطين. ٢ً قدرتهُ على الطبيعة. ٣ً قدرتهُ على شفاء المرضى. ٤ً نبواتهُ. ٥ً قدرتهُ على قيامة الموتى

اوَّلًا (طرد الشياطين) جاء مرارًا في الانجيل ان المسيح اخرج الشياطين من الاجساد (متى ٤: ٢٤ و٨: ١٦ ومرقس ١: ٣٩ ولوقا ٦: ١٨ و٧: ٢١ و٨: ٢ و١٣: ٣٢) وزاد بطرس هامة الرسل (اعمال ١٠: ٣٨) «ان يسوع اجتاز يُحسن الى

الناس ويجزئ كل من قهره ابليس » ولما كان المطلون ينكرون وجود الارواح فهم يفسرون ما ورد في الاسفار الانجيلية انها امراض عصبية وانواع من الهيستريا الممكن شفاؤها بالعلاج الطبيعي

(جوابنا) : ١ ان السبريتسم المنتشر في ايامنا انتشاراً مخيفاً ليس الا استحضار الارواح الشريرة وهو من الامور التي لا ينكرهـا علماء عصرنا والتي اضطرت الكثيرين منهم الى الاقرار بوجود الارواح

٢ ان حقيقة المس الشيطاني لأمر يثبتـهُ العهدان العتيق والحديث والآثار التاريخية القديمة والحديثة . اجل اننـا نسلم بوقوع كثير من حوادث الهيستريا والهيبنوتسم لكننا لا نخلط بين النوعين

٣ لشفاء الامراض العصبية لا بدَّ من استهواء وتلقين وتنويم يقدر عليها العامل في ظروف معينة وربما عجز عنها لاسباب كثيرة نحيل القارئ الى مطالعتهـا في المؤلفات الخاصة . اما المسيح فانهُ لا يستعمل تلقيناً ولا تنويماً سوى كلمـة بسيطة : « اخرج ايها الشيطان » او ما شاكلها

٤ لم يشفِ الايماز ولا الاستهواء ولا التنويم من الجنون المطبق الهائج كما فعل المسيح . ولم يُشفَ احد قط عن بعد من هذه الامراض كما شفى المسيح الابنة الكنعانية وغيرها

٥ لم يخلط الانجيليون (ومنهم الطبيب لوقا) بين المس الشيطاني والامراض الطبيعية فقد ذكروا عدداً من المصابين بالاعراض المشابهة وميزوا بين هذه وتلك

ثانياً (قدرة المسيح على الطبيعة) نختار بعض هذه الخوارق ونبيّن بطلان مدّعى المعطلين وعجزهم عن شرحها بنوع طبيعي

١ (تحويل الماء الى خمر في قانا الجليل) (يوحنا ٢ : ١) ذهب بولوس (Paulus) الالماني وريتان وويس (Weiss) ان المسيح اتفق مع بائع احضر خمراً سراً عند الحاجة . (نجيب) : ولكن المخبر يوحنا كان حاضراً والرسل الحاضرون آمنوا بالمسيح لرآها . قال يوحنا : « هذه الآية الاولى صنعها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده فآمن به تلاميذه » . فقول الملحدين يخالف النص الصريح ولا يفسره البتة . ثم هذا خداع وقد اقروا ان المسيح لاسمى من ان يُعزى اليه هذا الكفر

٢ً (الصيد العجائبي) (لوقا ٥ : ١ ويوحنا ٢١ : ١) ادّعى بعضهم ان المسيح عرف عملًا في البحيرة كثير السمك فارشد الرسل اليه. (نجيب): لكنهم اعرفُ من المسيح في مهنتهم وقد قضوا العمر يصطادون على البحيرة. ثم ان هاتين الاعجوبتين كانتا سبباً لتأنّي الرسل بالمخلص. قال لوقا انهم انذهلوا فخرّ بطرس على اقدام يسوع قائلًا: اخرج عني يا ربّ فاني رجل خاطئ. وترك الرسل كلّ شيء وتبعوا يسوع. فلو لم يكن هناك امرٌ عجيب لما تركوا مالهم واهلهم وتتلمذوا له

٣ً (تكثير الخبز واطعام الشعب في البرّية) (متى ١٤ : ١٥ و١٥ : ٣٢ ومرقس ٦ : ٣٤ و٨ : ١ ولوقا ٩ : ١٢ ويوحنا ٦ : ٥) زعم المعارضون ان يسوع احضر سرًّا ما يحتاج اليه الشعب او انهُ كان مع الكثيرين زوّادة كافية

(نجيب) : ١ً كيف احضر سرًّا ما يكفي خمسة آلاف رجل في المرّة الاولى ولاربعة الاف في الثانية خلا النساء والصبيان وفضل في الدفعة الاولى من الكسر اثنتا عشرة قفّة مملوّة وفي الثانية سبع قفاف واخفى الامر على الرسل والشعب؟ ونجيب ٢ً ان الاعجوبة اثّرت في الشعب الذين شاهدوها فاراد الجمهور ان يختطفوهُ ويقيموهُ ملكاً فانصرف الى الجبل وحدهُ (يوحنا ٦ : ١٥)

٤ً (سكون العاصفة ومشي المسيح على الماء) (متى ٨ : ٢٤ و١٤ : ٢٣ ومرقس ٤ : ٣٥ و٦ : ٤٧ ويوحنا ٦ : ١٦) لم يتفق الملحدون في تأويلاتهم قالوا: رأى يسوع علامات الهدوّ القريب. وكيف لم يرها الرسل؟ قالوا: مشى بالقرب من البحر. ولكن كيف وصل الى المركب في وسط البحيرة وكيف غرق بطرس وقد عيّن المؤرّخون الانجيليون بُعدهم عن الشاطئ وساعة حدوث الاعجوبة التي رأوها بعيونهم

٥ً (تجلي المسيح) (متى ١٧ : ١ ومرقس ٩ : ١ ولوقا ٩ : ٢٨ ورسالة بطرس الثانية ١ : ١٧ ويوحنا ١ : ١٤) ادّعوا ان الرسل حلموا حلماً. ولكن كيف يحلم الثلاثة حلماً واحداً ويظنّونهُ حقيقة ويؤكدونهُ؟ ان ذلك لغاية في الغرابة

وقس عليه سائر الشروح الغريبة التي اتحفنا بها الرواة الخياليون الملحدون. حتى انّ المعطّل ستروس (Strauss) اقرّ باستحالتها قائلًا (١ : « ان هذه التفاسير لهي

١) وهذا قولهُ بالحرف الواحد: Productions monstrueuses d'un système qui remanie l'histoire sans frein ni règle. »

اختراعات غريبة سندوها الى مبدأ يبدّل في التاويخ ما شاء بلا حدّ ولا قاعدة »

ثالثاً (شفاء المرضى) ان عدد المرضى الذين شفاهم يسوع لاكثر من ان يُحصى فكثيراً ما كرّر الانجيليون انهُ شفى ذوي العاهات الذين عُرضوا عليهِ دون ان يذكروا عددهم ولا جنس اسقامهم لكنهم وصفوا بعضها وهي كما يلي: —

١ً (البُرص) (متى ٨: ١ ومرقس ١: ٤٠ ولوقا ٥: ١٢ و١٧: ١٢) كلٌ يعلم ان البَرَص مرض عضال سببهُ ميكروب خاصّ يدخل في النسج العضوي. وشفاؤهُ مُحال — وقد شفاهم يسوع بكلمة او بمجرّد لمس يدهِ المباركة

٢ً (المُخلّعون) (متى ٨: ٥ و٩: ١ ومرقس ٢: ٤ ولوقا ٥: ١٨ و٧: ٢ ويوحنا ٥: ١) التخلّع او الخبل مرض عصبي عُضال يكاد لا يُشفى — وقد شفاه المسيح بقولهِ: « قم احمل سريرك واذهب الى بيتك »

٣ً (العميان) (متى ٩: ٢٧ و٢٠: ٢٩ ومرقس ٨: ٢٢ و١٠: ٤٦ ولوقا ١٨: ٣٥ ويوحنا ٩) شفاهم يسوع حالاً بمجرّد اللمس وكان منهم واحد مولوداً اعمى وكل يعرف ان شفاء العمى نادر جداً او مستحيل لا سيما العمى منذ الولادة الذي شفاهُ يسوع بعد ان طلى عينيهِ بالطين (يوحنا ف ٩)

وخلا هؤلاء شفى يسوع اصمّ اخرس (مرقس ٧: ٣٢) والمرأة ذات نزيف الدم المزمن (متى ٩: ٢ ومرقس ٥: ٢٥ ولوقا ٨: ٤٣) والرجل اليابس اليد (متى ١٢: ١٠ ومرقس ٣: ١ ولوقا ٦: ٦) وردّ اذن ملكوس المقطوعة (لوقا ٢٢: ٥٠) الخ

وقد اعطى تلاميذهُ القدرة على شفاء الامراض واخراج الشياطين فعملوا باسمهِ العجائب (لوقا ١٠: ١٧ ومتى ٧: ٢٢ ومرقس ٩: ٣٧ الخ) تخصّ بالذكر الرجل الاعرج الكسيح من بطن امهِ الذي اقامهُ بطرس برأى من الشعب كله (اعمال ٣)

فما قول الملحدين؟ انهم استفرغوا المجهود ليؤوّلوها كامور طبيعيّة ولكن قد خاب سعيهم. قال رينان: « ان وجود شخص ممتاز يعامل المريض ببراعة ويؤكد لهُ الشفاء لهو دواء ناجع. مَن يجرأ ان ينكر ان قُرب شخص عزيز لهو في كثير من الامراض — خلا الجروح البليغة — افضل من اقدمية الصيدليّات » (سيرة يسوع ص ٢٠٧). وقال هرناك: « ان كثيراً من هذه الحوادث لا يمكننا شرحها وذلك لاننا نجهل قوى الطبيعة وتأثير بعضها على بعض »

هذا كلُّ ما توصَّل الى استنباطهِ العالمان الجاحدان الافرنسي والالماني. وهي لعمري حجَّة اوهى من نسيج العنكبوت. فاين ومتى كان وجود شخص عزيز دواء لامراض عضالة كالتي ذكرناها . لقد يؤثر الطبيب النطاسي في بعض الامراض العصبيَّة او يخفِّف برقة كلامهِ بعض الآلام مدة دقائق قليلة لكنهُ لا يشفي بذلك البرص والعمي والصمَّ والتخلع ؟

ثم ما الحاجة الى معرفة قوى الطبيعة باسرها قبل الحكم ونحن نعرف ان هذه الامراض لم تشفَ طبعاً بكلمة ولن تشفى والَّا لما كان للمعلول علَّة

قالوا: ان قوى الايعاز والاستهواء (suggestion) في الطب غريبة عجيبة. نردّ عليهم ببادئ العلم العصري فاصلين بين الامراض العضليَّة التي لا يؤثر فيها الاستهواء وبين الامراض العصبيَّة المحضة التي يؤثر فيها نوعاً. فهذه لا بدَّ لها من التنويم ومن رضى المريض ومن قربهِ من العامل ومن استعداده العصبي القابل التنويم الى غير ذلك من الشروط. ومن ثم نقول: ١ً ان البرَص والعمى الخ من الامراض العضليَّة التي يمتنع شفاؤها على الاستهواء والتنويم — ٢ً لم يستعمل يسوع التنويم بشفاء المرضى. ٣ً لا نرى فيهم الشروط التي يصفها العلماء لشفاء الامراض العصبيَّة . فليسوا من المصابين بالامراض العصبيَّة التي نراها في ايامنا (nevrosés, nevropathes) بل كانوا بسطاء فلاحين او فقراء متسوّلين لا سيِّدات مترفهات تغلبت عليهنَّ المخيلة ولا بنات متهيجات بالهيستريا — ٤ً لا يشفي الاستهواء الَّا الامراض التي يمكنهُ ان يسببها ومن ثم فلا يشفي المولود الاعمى مثلاً او الاعرج — ٥ً ان عدداً من هؤلاء قد شفوا عن بُعد ولم يقابلهم المسيح

رابعاً (نبوات المسيح) كان المسيح يعرف اسرار القلوب فلا تخفى عليهِ خافية وقد تنبأ عن امور جمَّة اثبتها الحادث كما سبق ووصفنا

قد تنبأ عن آلامهِ وموتهِ وقيامتهِ بتفاصيلها وظروفها — وتنبأ عن الكنيسة التي اسسها انها لن تقوى عليها ابواب الجحيم — وعن ايمان العالم بهِ — وعن مستقبل الرسل والتلامذة — وعن اعدائهِ ووطنهِ — وعن خراب الهيكل واورشليم الخ. فما قول المعطلين ؟ ليس لهم الَّا انكران تاريخ كتابة الاسفار الانجيليَّة والَّا اضطرُّوا الى الاقرار بحقيقة النبوة لا سيما بشأن خراب اورشليم. لكننا قد اثبتنا في الباب

الاوّل من هذه الدروس ان الاناجيل كتبها رسولان ورسوليان في السنين الاولى. وقد انتشر انجيل متى ومرقس ولوقا قبل السنة السبعين للميلاد اي قبل خراب اورشليم وهذا حسبنا الآن

خامساً (اقامة الموتى) ذكر الانجيل اقامة المسيح لابنة الرئيس ولابن الارملة وللعازر (متى ٩: ١٨ ومرقس ٥: ٢١ ولوقا ٧: ١١ و٨: ٤١ ويوحنا ١١). فما قول الملحدين؟ ينكرونها او يؤوّلونها كانها رموز خياليّة وهي بالحقيقة حوادث تاريخيّة ذكر الكتبة ظروفها المكانيّة والزمانيّة واشتهارها بين الشعب حتى ان قيامة لعازر كانت السبب القاضي بالقضاء القبض العاجل على يسوع حسداً وبغضاً (يوحنا ١١: ٤٧ و١٢: ٩ و١٧). قالوا ان الابنة قد أغمي عليها. ولكن كيف نقول انها مغمى عليها ونرى اباها يبكي على موتها والاقارب والمعارف يندبونها. وهل يا ترى أغمي ايضاً على ابن الارملة المحمول الى القبر. وهل أغمي على لعازر بعد ان مرّت عليه اربعة أيام مدفوناً حتى انتن. لعمري ان تأويلات كهذه لهي بالحقيقة شهادة صادقة على ان العقول المعاندة للحق قد يُغشى على بصائرها فلا تميز بين النور والضلال او ان لها اذاناً ولا تسمع وعيوناً ولا ترى ونضرب الآن صفحاً عن قيامة المسيح من الموت لاننا سنفرد لها باباً على حدة ان شاء الله

الخاتمة

لقد انجزنا مقالتنا هذه الاساسيّة في الانجيل الشريف واثبتنا بالبرهان التاريخي والنقدي الذي لا يجوز لعاقل انكارهُ ان الاسفار الاربعة تُعزى بالحقيقة الى اصحابها الموسومة باسمائهم الجليلة وانها بريئة من كل تحريف وتزييف وان شهادة كتبتها شهادة صادقة لا يشوبها خداع ولا ضلال ومن ثم موجبة للاقناع. وقد تحرينا في كل ما سبق الاستناد على الحجج العلميّة المحضة بمعزل عن الوحي لتشمل الفائدةُ المؤمن فيثبت في ايمانه وتبهر غير المؤمن فيدعوه عن الضلال ويرضى بنور الدين النصراني القويم. هداهُ الله الى الحق امين